عالم المستقبل العجيب

مستقبل الحرب والملابس والمآكل

[أهم ما جاء في محاضرتين أذاعهما رئيس تحرير المقتطف من محطة الاذاعة اللاسلكية المصرية في شهري مارس ومايو الماضيين وحقائقهما منتزعة في الغالب من كتاب « ولادة المستقبل » لرتني كالدر و « عالم المستقبل العجيب » للاستاذ لو و « شكل الاشياء القادمة » للكاتب الانكليزي ولز . وقد نشر الجانب المتوسط الخاص بمستقبل الحروب في مجلة الراديو المصري]

١ — الانباء بالمستقبل

اذا تصفحنا برامج التعليم بوجه عام تبينا لدراسة التاريخ فيها مقاماً عالياً . ولكننا قلما نجد ذكراً لدراسة المستقبل . بل لو قال أحد المتحمسين ان المستقبل ، يجب أن يدرَّس في المعاهد لقوبل قوله بالازدراء والاشفاق على عقله ولقيل في الرد عليه : « ان كل صبي يقرأ أقاصيص الروائيين أمثال قصص جول فرن وحكايات ولز العلمية وما هو من قبيلها ولكننا لا نستطيع أن نقيم وزناً لدراسة هذه الموضوعات ولا أن نعني بها عناية جدية . أما دراسة التاريخ فتختلف عن دراسة المستقبل لانها تتناول حوادث معينة نعلم حق العلم أنها وقعت في الماضي

الاَّ أن طائفة كبيرة من المفكرين أصبحت ترى رغم هذا الاعتراض أن المستقبل يمكن أن يدرَّس في المعاهد . وان دراسته لا تقل في دقتها عن الدقة في دراسة الماضي . وانها على كل حال أجدى وأتم . فنحن اذا عجزنا عن تغيير الماضي فالاهتمام بالمستقبل قد يكون ذا شأن يسير في تحويل مجراه

ورب معترض يقول : كيف تستطيع أن تعرف ما قد يقع في السنة القادمة ، دع عنك ما قد يقع بعد خمسين سنة أو بعد مائة سنة ؟

والرد على ذلك انهُ أيسر على العلماء ان يعرفوا ما ينتظر حدوثه بعد خمسين سنة من أن يعرفوا ما قد يحدث في السنة القادمة . وما يصح على دراسة المستقبل من هذا القبيل يصح كذلك على دراسة الماضي . فكتابة تاريخ السنة الماضية أشق من كتابة تاريخ لعهد الملك ادورد مثلاً . فقد يكون الحادث الاهم في السنة الماضية حرباً نشبت بين دولتين كبيرتين . ولكن اذا كتب تاريخ السنة الماضية

بعد خمسين سنة ، فقد لا يقرأ حفدتنا من هذه الحرب الا بضعة سطور . وقد يكون المقام الاول في تاريخ السنة الماضية حينئذٍ لاكتشاف وسيلة وافية لخزن الطاقة الكهربائية. فقربنا لحوادث السنة الماضية يحير نظرنا ويجعل وزن الامور بميزانها الحقيقي من أعسر الاعمال بل من الاعمال المتعذرة

وقد كانت دراسة التاريخ الى عهد قريب تتناول الحروب وتتويج الملوك في الغالب . وارب تاريخ فتح أو غزوة او تتويج يتعلمه جميع طلاب المدارس على انهُ من حوادث التاريخ الخطيرة لا يقابل من حيث أثره في العمران بكتشفات فراداي الكهربائية بل لا يقابل بأحدها . فنحن نعلم ان أحد ملوك فرنسا قطع رأسه في الثورة الفرنسية ، ولكن حادثاً اخطر شأناً من هذا الحادث ، وهو اعدام لافوازييه الكيماوي ، قلما نراه مذكوراً في تواريخ الثورة الفرنسية او اذا ذكر فانه يذكر عرضاً أو في الهامش

فالكتابة عن المستقبل يسهل فيها اجتناب مثل هذه الاخطاء . فلست تجد عاقلاً يجرؤ ان يقول لك من يكون رئيساً للولايات المتحدة الاميركية بعد خمسين سنة ، ولا هو يستطيع ذلك . ولكن من المستطاع أن تتصور كيف تكون معيشة الناس بعد قرن من الزمان او بعد عشر قرون. فمن وسعنا ان نعرف على وجه من الدقة ، الطعام الذي يأكلون والملابس التي يرتدون والسيارات التي يمتطون ، وهذا كله وما هو من قبيله أخطر شأناً من تتويج الملوك وسقوطهم وانتخاب الرؤساء او اخفاقهم في الانتخاب . ان لافوازييه اخطر شأناً من الملك لويس السادس عشر . واقليدس وارخميدس أبعد اثراً في العمران من جميع الملوك والقواد في عصرهما

ان الكتابة عن المستقبل ليست حزراً يوفَّق او يخطئه التوفيق . فاذا قلت لك انك سوف تربح الجائزة الاولى في نصيب المؤاساة في السنة القادمة او اذا قلت لك انك سوف تتزوجين رجلاً مديد القامة أسمر اللون كان عملي من قبيل الحزر . وفي بعض القوانين في بعض البلدان ما يعاقب على هذا العمل . ولكن اذا اكدت لكم انهُ بعد انقضاء قرنين من الزمان لا تجد قطع النحم الا في دور الآثار وان الناس في سنة ٣٠٠٠ ب م قلما يعرفون ما هو الدخان المتصاعد من المصانع لا أبني قولي على الحزر . بل أكون عارضاً رأياً مبنيًّا على دعامتين من الحقائق المعروفة المؤيدة الآن وما يرجح ترجيحاً عليًّا اننا سوف نبلغه في المستقبل . وهذا هو صميم الاسلوب العلمي . خذ مثلاً على ذلك تزايد سرعة الطائرات في سباق شنيدر . فاذا نحن دونّا سرعة الطائرات التي فازت بالكأس في العشرين السنة الاخيرة ، والسنوات التي فازت فيها استطعنا أن نعرف على وجه من الدقة ما قد تبلغه سرعة الطائرة الفائزة في السباق المقبل اذا تم هو او ما كان من قبيله ، وقد جربت هذه الطريقة في السباق الاخير وعينت سرعة الطائرة الفائزة قبل السباق على هذا الاساس فلما عرضت سرعة الطائرة الفائزة فعلاً ظهر أن التقدير اخطأ ٢ في المائة فقط

ويمكن استعمال هذه الطريقة في جميع نواحي الحياة فتبني على النتائج التي تسفر عنها صورة

للمستقبل . ومن الواضح أن التقدير في مسائل يشوبها شيء من الغموض مثل ملابس الناس وغاتهم لا يمكن أن يكون دقيقاً في تفصيلاته فيكتفي فيه بالخطوط العامة

٢ — الحروب

يقول بعض الكتّاب ، ان حروب المستقبل ، سوف تكون اشد تروعاً ، واكثر اهوالاً من حروب الماضي . ولكن طائفة العلماء ، بوجه عام ، لا توافق على هذا الرأي . لا ريب في ان الحروب المقبلة سوف تكون فتاكة ، شديدة الفتك — وقد كانت الحروب جميعها كذلك — ولكن العلماء يقولون ، ليس الموت طعناً بالرماح ، اسهل من الموت اختناقاً بالغاز . على ان هذا ليس بالامر المهم . بل المهم ان واضعي الخطط الحربية في المستقبل ، سوف يدركون ان الظفر في حروب في المستقبل لن يكون بتقتيل بعض الجنود في الخنادق . لذلك ينتظر ان تتجه انظارهم اولاً وقبل كل شيء الى العقد العصبية في جسم الامة ، الى المصانع التي تجهز الجيش بل وسائر طبقات الامة ، بالغذاء من جهة وبوسائل الكفاح من جهة اخرى . وعلى ذلك لا بد ان يزول الفرق في الحروب المقبلة ، بين فريق المحاربين من الامة الواحدة ، وفريق غير المحاربين

فاذا قلنا وما ذنب غير المحاربين حتى يعرّضوا لوسائل التقتيل ، قيل لنا لان غير المحاربين عليهم العمدة في تجهيز المحاربين بالقنابل والطيارات والغذاء ، فهم والمحاربون سواء . فاذا منعنا غير المحاربين من صنع الاسلحة والغذاء ، تعذر على المحاربين ان يحاربوا

ولذلك ينتظر ، في مفتتح حروب المستقبل ، ان تتجه وسائل الهجوم — وهي الطيارات في الغالب — الى العقد العصبية في جسم الامة ، ترميها بالقنابل المتفجرة ، فتدمر المصانع ، وبالقنابل المحشوة بالغازات والجراثيم ، فتميت الاهلين . والدليل على ذلك الاتجاه ، ان بعض الدول التي تخشى الحروب ، اخذ يمرن ابناءه على استعمال الكمامات التي تقي من الغاز . هذا من حيث خطة الحروب المقبلة بوجه عام

***

أما من حيث وسائلها فمن المتعذر تعيينها الآن ، لأن وسائل الحروب تتأثر الى حد بعيد بالاختراعات التي تكون سائدة عند نشوبها . ففي سنة ١٩٠٠ مثلاً ، كتب أحد الكتّاب فقال إنه من المنتظر أن يكثر استعمال العجلة (البسكليت) في الحروب القادمة . ولكن قبلما نشبت الحرب الكبرى كانت قد استغنيت السيارات والطيارات واتقن صنعها الى حد ما ، فكانت في مقدمة الوسائل التي اعتمد عليها في الحرب الكبرى وقلما استعملت العجلات الا ما كان يسير منها بآلة شبيهة بآلة السيارة (الموتوسيكل)

ولما كانت هذه الوسائل تحتاج الى البنزين في تسييرها، كان للبنزين اكبر مقام في الحرب. لذلك لما قلّ البنزين في فرنسا في خلال الحرب بعث كلمنصو الى الرئيس ولسن تلغرافاً يناشده فيه العناية بالامر، فقال — ولم يكن مبالغاً من الوجهة العسكرية — «ان كل قطرة بنزين بمثابة قطرة من الدم»

ولكننا قد لا نجيد عن حدود المنطق العملي اذا قلنا ان الطيارات سوف تكون من أهم وسائل الحروب المقبلة. والصورة المروعة التي يرسمها الكتّاب لاستعمال الطيارات، هي كما يلي في الغالب: لا تكاد تنشب الحرب، حتى تتجه أساطيل الطيارات حاملة قنابل منوّعة، فمنها ما يكون محشوّاً بالمواد المتفجرة فتدمر ماتقع عليه، ومنها ما يكون محشوّاً بالغازات والجراثيم فيفتك بالناس. ويرجح بعض العلماء ان المخترعين يكونون قد تمكنوا في المستقبل من اختراع وسائل لتخفيف ازيز الطيارات، ووسائل اخرى تمكنها من الارتفاع اسراباً الى علو عشرين الف قدم، ابتعاداً عن المدافع الخاصة باطلاق النار على الطيارات، ومن ذلك العلو الشاهق تلقي قنابلها المختلفة على المراكز الصناعية المهمة

ولا ريب في ان طيارات الدفاع تكون قد اتقنت كذلك. فتستطيع ان تحلق تحليق طيارات الهجوم، وان تسرع إسراعها، وان تجهز بنوع جديد من القنابل على مثال الطوربيد الذي تطلقه الغواصات على السفن، لترمي بها الطيارات الضخمة المهاجمة

والمرجح ان يكون لاشعة الراديو، اي الاشعة اللاسلكية، أثر في هذه الناحية من نواحي الحرب. فقد جرب بعضهم التجارب لتسيير البوارج والطيارات من بعيد بواسطة الاشعة اللاسلكية. ذلك ان البارجة تكون خالية من الربان والبحارة، والطيارة تكون خالية من السائق ومعاونه، ولكن كلتيهما تحتوي على جهاز خاص، يتأثر بنوع معين من الامواج اللاسلكية. فتطير الطيارة من ارض المطار بتوجيه هذا النوع المعين من الاشعة اليها، ثم اذا ارتفعت الى علو معين استطاع الرجل الجالس في غرفة على الارض ان يسيّرها يميناً او شمالاً، الى ان تبلغ مكاناً معيّناً على الخريطة امامه، فيضغط حينئذٍ على زرّ امامه، فتلقي الطيارة قنابلها من تلقاء نفسها

وما يصح على الطيارة يصح كذلك على البارجة

هذه الاعمال لا تزال في دور التجارب الآن. ولكنها في الغالب تصبح من الوسائل العملية بعد خمسين سنة على الاقل، ان لم تقل قبل ذلك

ويقول أحد العلماء ان من وسائل حروب المستقبل حصوناً تبنى في الهواء. وهنا قد يعترض معترض فيقول وكيف يكون الحصن في الهواء، والاصل في الحصن ان يكون راسخاً في الارض، متين البناء لا تزعزعه القنابل ولا يدمره وقعها عليه

والواقع ان الأصل في الحصن هو الذي تقوله المعترض. فاعتراضه في محله. ولكننا أشرنا الى ان أهم سلاح في المستقبل سوف يكون سلاح الطيارات تلقي قنابلها من الجو، واذاً تحتاج كل

مدينة كبيرة : أو كل مركز صناعي ، الى وسيلة تمكنها من صد إغارات الطيارات . لذلك يقترح بعض العلماء أن تبنى حصون تحمَّل في الجو على أكياس صغيرة من الهليوم . والهليوم غاز خفيف لا يلتهب اذا مسَّتهُ النار . أما الأكياس فيجب أن تكون كثيرة وصغيرة ، لانها اذا كانت كبيرة وقليلة ثم خرقت أحدها رصاصة ، مال الحصن الهوائي وفقد توازنه . أما اذا كانت صغيرة فاختراق كيس هنا وكيس هناك، لا يؤثر هذا التأثير في فقد توازن الحصن . وينتظر أن يجهز الحصن الهوائي الذي من هذا القبيل ، بمدافع لها قنابل تمزق ما تصيبه وتحدث فيه لهيباً ، فاذا اقترب الأسطول الجوي المهاجم من احدى المدن ، كان هذا الحصن على علو كاف يمكن رجاله من اطلاق القنابل على الطيارات المهاجمة ، حالة ان المدافع في الحصون الارضية لا تستطيع أن تبلغها

ومن القنابل التي ينتظر أن تستعمل في مدافع هذه الحصون الجوية قنابل تحتوي على الغاز . ولكنهُ ليس بالغاز السام ، لأن طياري الاعداء يكونون لابسين على أفواههم وأنوفهم كمامات تقيهم منهُ ، ولكنه يكون غازاً يلتهب بشرارة صغيرة . فتطلق القنابل على الطيارات ثم تشعل بشرارة خاصة فتلتهب ، والتهابها يعرقل عمل الطيارين المهاجين أولاً ، ثم ان عدم الهواء بالتهاب الغاز يثقل الطيارات نفسها

ومن أسلحة الحرب القادمة جهاز جهنمي يجمع بين مبدإ الدبابة (التنك) ومبدإ النواصة . فتبنى دبابات ولها حجر لا يخترقها الماء ولها كذلك محركات كمحركات السفن . فاذا اعترض الدبابة نهر عريض اجتازته عوماً كأنها سفينة من السفن . ثم إذا بلغت الضفة الاخرى ، استأنفت سيرها على عجلاتها والسير الذي يحيط بالعجلات

بل قد جمع بعض المستقبليين بين الغواصة والطيارة . واليك ما كتبه أحد الكتاب الحربيين قال :

رؤي من عهد قريب منظار غواصة فوق سطح البحر كأنه كرة صغيرة على وجه الماء . ثم ما لبثت الكرة ان كبرت رويداً رويداً حتى أصبحت برجاً من الابراج التي ترى فوق دكات الغواصات . وبعد بضع ثوان ظهرت الغواصة على سطح الماء ، ثم فتح البرج وخرج منه بعض الضباط واخرجوا طيارة مطوية الجناحين . فنشروا جناحيها ووضعت على رأس منحدر فجرت عليه قليلاً ، واذا هي في الهواء فيها سائق يديرها ووراءه ضابط للمراقبة . فحومت نحو نصف ساعة حول الغواصة ثم عادت ورست قربها . ثم رفعت وطوي جناحاها وأعيدت الى مخبئها . وبعد ذلك غاصت الغواصة تحت الماء فغابت بغتة عن النظر كما ظهرت بغتة »

وهم الآن يجرون تجارب خاصة في صنع طيارات ضخمة لمكافحة الغواصات وهي غائصة في الماء ، بواسطة قنابل فعالة تعرف بقنابل العمق ، حتى اذا رأى رجال الطيارة غواصة تحت الماء ، اطلقوا هذه القنابل عليها فتستطيع ان تمزق دروعها ولو كانت غائصة

وقد تصور المستر ولز ، الكاتب الانكليزي المشهور ، وسيلة فعالة عجيبة ، يرى انها سوف

تكون من وسائل الحروب المقبلة . ومع أن ما تصوره مبني على الخيال في الغالب ، فليس ثمة ما يمنع تحقيقه من الناحية النظرية . فقد تصور المستر وار مركباً كيماوياً تنثره الطيارات كرشاش الماء فوق بقعة من الارض ، فيصيب أجسام الاحياء من نبات وحيوان وانسان ، فتصاب بالعقم اي تصبح عاجزة عن التناسل ، فاذا انقضت بضع سنوات ، اصبحت المنطقة التي رش فوقها هذا الرشاش قاعاً صفصفاً . ومن الصفحات المروعة في كتابه (شكل الاشياء القادمة) وصفه لحملة الجراثيم ، التي بثت فيها جراثيم الاوبئة المختلفة : كالانفلونزا ، وانواع الحميات ، والكوليرا ، والطاعون

***

على ان بعض الكتاب يرى ان الحكومات في حروب المستقبل ، لن تكتفي بأساليب الفتك المادية كالقنابل ، والغازات والجراثيم ، بل سوف تعمد الى الوسائل النفسية السيكولوجية التي تقوم عليها فنون الدعاية . فتبني احدى الحكومات مثلاً ، محطة راديو عظيمة القوة ، تذيع بها دعاية قائمة على اصول نفسية ، غرضها ان تضعف القوى المعنوية في ابناء الامة التي تحاربها . وقد تعمد الى اساليب التلفزة — اي الرؤية عن بعد بالامواج اللاسلكية — فتمثل في « استوديو » خاص بالسينما ، مشهد انخذال اصيب به جيش العدو ، وتذيعه بآلة التلفزة ، على انهُ مشهد واقع ، فتفتُّ في عضد الشعب الذي خذل جيشه .

ومما لا ريب فيه ، ان تاريخ الحروب قد أثبت ، ان كل اسلوب جديد للهجوم ، يقابله ويماشيه اسلوب جديد للدفاع . فزيادة القوة في قنابل المدافع ، تقابلها زيادة السمك في الدروع . واستعمال الغاز يقابله استعمال الكمامات التي تقي من الغاز . والطيارات المهاجمة ، تقابلها طيارات الدفاع السريعة ، والدعاية اللاسلكية ، تقابلها دعاية مثلها او طريقة علمية لتشويش الدعاية المذاعة وعدم فهمها

اشار الفلاسفة وبعض الساسة الى الحرب التي تقضي على الحرب . ولكننا لن نفوز بحرب تقضي على الحرب ، ما زلنا كلما اخترع اسلوب للهجوم والفتك ، اخترع اسلوب يقابله للوقاية والدفاع . ليس يقضي على الحرب الا التعليم والتثقيف ، والا البيان للناس بأن مصلحتهم افراداً وجماعات تقتضي السلام والوئام

٣ — الملبس

لا يختلف اثنان في أن اللباس والغذاء من ضروريات الحياة . ولعلّ بعض النساء يرى أن اللباس مقدّمٌ على الغذاء ، في خطورة الشأن وعلو المقام . فكتّاب الغرب يحدثوننا ، انه لا يندر في حواضر البلدان الاوربية والاميركية ، ان تستغني الفتاة العاملة عن الغذاء الوافي ، لتشتري بما توفره من ثمن الطعام ، جوارب حريرية تكسو ساقيها ، أو ثوباً على آخر طراز . وليس يندر بيننا في الشرق ان يضطرّ ربُّ البيت الى الكدح ، أو ربّة الاسرة الى التقتير ، لكي تهيأ للسيدة فرصة

مجاراة اخواتها اللواتي هنَّ أيسر حالاً منها ، في ملابسهنَّ . بل لعلَّ موضوع الأزياء في الفصل القادم أو السنة القادمة ، واللون الغالب ، والنسيج المفضَّل ، من المرضوعات التي تستغرق اكبر جانب من عناية السيدات ووقتهنَّ . والعالِم يهتمُّ بالازياء كذلك . ولكنه يهتمّ بها من ناحية ما ينتظر ان تكون عليه ، بعد مائة سنة أو خمسمائة سنة . ويهتم كذلك بالمواد التي تصنع منها الملابس ، من حيث نسجها ولونها ودفئها واجتماع الشروط الصحية فيها ، رغبة في توفير كل ما يجب ان يتوافر فيها ، على أيسر حال

٭٭٭

كان الغرض الاصلي من الملابس ، تجهيز الجسم بالدفء ووقايتهُ من تقلُّب الجوّ . ومن المحتمل ان تعود الملابس في المستقبل ، الى مكانتها الاولى في حياة الانسان ، فيصبح غرضها الدفء والوقاية فقط ، لا الزينة ، اذ لا يخفى انهُ انقضت قرون تليها قرون ، كان في خلالها الغرض الاول من الملابس الزينة لاستبقاق نظر الجنس المقابل . ولكن رأي الناس في المستقبل سوف يطرأ عليه تحوُّل وانقلاب . فالريش الثمين في قبعة سيدة ، أو على صدر فستانها ، وقطع التخريم الملونة الزاهية ، في اماكن ظاهرة من الملابس ، وتلوين الاظافر أو تفضيضها أو تذهيبها ، سوف ينظر اليها في المستقبل ، على انها طمعٌ جنسيٌ ، لا اكثر ولا أقل . فتوضع المرأة التي تستعملهُ ، في طبقة واحدة ، مع الطيور والفراش ، التي تعتمد على أمثال هذه الاساليب ، لمثل هذا الغرض البيولوجي

والراجح أن مبتكري الازياء ، يكونون قد زالوا من الوجود حينئذٍ ، بعد أن اصبح الزيُّ واحداً في كل مكان للنساء والرجال ، لأن الغرض من تفصيل الملابس ، في ذلك العهد البعيد ، سوف يكون الفائدة لا الزينة وجمال المظهر . هذا على الاقل ما يقولهُ العلامة الانكليزي الاستاذ لو في كتابه عالم « المستقبل العجيب » . ولما كان محدثكم ، انساناً ، تحركه رؤى الجنان فانهُ يرجو الاّ تصح نبوءة الاستاذ لو في حياته ، ولو كان ذلك على حساب الاقتصاد والفائدة

والفائدة في تفصيل الملابس تقتضي اموراً يحتمها العلم : منها حسن التهوية للجسم المقمَّط لحفظ الجلد سليماً ، ومنها سهولة اختراق الاشعة لنسيج الملابس ، من فساتين وبدل ، حتى تستفيد ونحن مرتدون الثياب ، الفائدة التي ينشدها طلاب الرياضة على الشواطئ البحرية ، في ضوء الشمس والهواء الطلق . أما الضعف المتمكّن في الطبيعة البشرية ، الذي يسهل على مشعوذي الخياطين والخياطات ، أن يملوا على الجماهير ، أزياء الفصل المقبل ، ويفرضوا عليهم ما يجب أن يلبسوا وكيف يجب أن يلبسوه ، فنكون قد تغلبنا عليه ، بالتعليم والتثقيف ، لانهُ قد لا يصعب ان تقنع الجنس اللطيف في المستقبل ، بأن استعمال الملابس لما يستعملنها لها ، أي للزينة واستبقاق نظر الرجال ، يضعهنَّ في صف واحد مع بعض الحيوانات والنباتات ، وانّ كرامتهنّ لا تحتمل الموازنة من

هذا القبيل ، مع الحيوانات والنباتات ، لأن بعض الأزهار ، أو جميع الأزهار ، تظل تتوقهن اضعافاً مضاعفة في ابتكار الوسائل العجيبة لاجتذاب النحل والطير

***

يرجح العلماء ان اتساع معرفة الانسان بأسباب تقلُّب الجوّ ، سوف تمكنهُ من السيطرة ، عليه بعض السيطرة ، وعندئذٍ يصبح من الضروري جعل الملابس ، من نماذج قليلة ، متماثلة ، رغبة في التوفير والاقتصاد . اذ لا يصحُّ أن يكون في متناولنا ، جعل الحرارة في غرفة ما موافقة لسيدة مرتدية أوهى الحرير ، حالة أن زوجها في الغرفة نفسها يرتدي بذلة من الصوف الكثيف . فملابس الناس في العصر الحاضر لم تصنع لتكون ذات صلة ، بحالة الجوّ على الاطلاق . فملابس الرجال تزهق النفوس في أيام الحرّ ، وتضيّق أطواقها على رقابهم ، وتشدُّ أحزمتها على معدهم. ثم أنها ليست صحية على الاطلاق في أيام البرد ، فبضع قطرات من المطر ، تحوِّل القميص المكوي والياقة المكوية الى خرق مبللة ، والطربوش القرمزي الجميل، الى سطح قرمزي مجدور . حتى في ايام الشمس الطالعة، تحجب ملابس الرجال عن أجسامهم الاشعة المفيدة ، المنطوية في ضوء الشمس ، الا عن ايديهم ووجوههم ، وهذا يمهد سبيل الثروة لبعض الاطباء الذين يعالجون الناس بأشعة مصنوعة او مولدة في المعمل ، وهي تعم الفضاء مباحة للصالحين والطالحين على السواء . اما النساء فأفضل حالاً من الرجال من هذه الناحية لكثرة ما يكشفنَ في ايام الدفء أوالحر عن سيقانهنّ وأذرعهنّ ونحورهنّ

من المحتمل ان يوفق علماء الكيمياء في المستقبل الى صنع نسيج شفاف للاشعة التي فوق البنفسجي في ضوء الشمس . فزجاج شبابيكنا ، شفاف للضوء ، ولكنهُ يحجب هذه الاشعة المفيدة. اي اذا كشف احدنا عن صدره ، وجلس في ضوء الشمس وراء زجاج نافذة مقفلة ، لا يجني من ضوء الشمس الفائدة التي يجنيها لو تعرض له في العراء على شاطىء البحر . ولكن العلماء تمكنوا في العهد الاخير ، بعد البحث والامتحان ، من صنع زجاج يأذن للاشعة التي فوق البنفسجي ، في اختراقهِ . وهو زجاج غالي الثمن ولا يستعمل الآن الاّ في المصحات . ولذلك فليس من المستحيلات صنع نسيج للملابس من قبيل هذا الزجاج العجيب

عندئذ يصبح غرض الذين يعهد اليهم في تصميم الملابس الصالحة الموافقة للحياة في المستقبل ان يصنعوها على ابسط مثال ، حتى يسهل خلعها وتعقيمها ، على اهون سبيل . لان ناس المستقبل، رجالاً ونساء ، لن يسلموا بانفاق ساعتين او ثلاث ساعات كل يوم ، في لبس الملابس المؤلفة من قطع كثيرة صغيرة ، وخلعها . وهي في تعدد طياتها من اصلح ما يكون لتجمع الغبار في ثناياها وما يحمله الغبار من المكروبات . اذ لا يندر حتى في عصرنا هذا من يدعي ان وقته من ذهب وان كل ساعة من وقته تعدل جنيهاً او بعض جنيه او اكثر من جنيه . أفيدري من يدعي هذا الادعاء ، انهُ ينفق كل سنة ما متوسطه خمسمائة جنيه الى سبعمائة جنيه على الاقل في لبس الملابس

—لكثرة الآراء واختلافها — ان يلازموا موائد الطعام أو ان يموتوا جوعاً

ولكن لا شبهة في ان مقادير الطعام في المستقبل سوف تكون قليلة جداً . فما نأكله الآن يفوق كثيراً ما نحتاج اليه لاغراض التغذية . ومن هنا كانت السجون اصح من الفنادق . واذن فسوف يكتفي الناس في المستقبل بأقل قدر من الطعام يحتاج اليه الجسم . فقد كانت العادة في الماضي ولا تزال في بعض البلدان ، ان يمضي الانسان في الاكل حتى يعجز عن النهوض . واصل هذه العادة عدم اطمئنان الانسان الى حصوله على الغذاء الوافي في ساعات الجوع او في مواعيد معينة . فكان الصياد اذا اصاب طريدة بعد بضعة أيام من الجوع يأكل منها ما يستطيع ، لانهُ لا يدري متى يصيب طريدة اخرى . ولكن هذا عاد غير ضروري الآن . بل أننا اذا مارسناه عاق نمونا العقلي . ولكن من سوء الحظ أن معدة الانسان تعودت من قرون متطاولة ، أن تتلقى اقداراً كبيرة من الطعام . فاذا استطاع العلماء في المستقبل أن يحصروا القدر الوافي من الغذاء في بضع حبات يتناولها الانسان في اليوم — وهذا منتظرٌ تحقيقهُ — وجب كذلك أن تخترع اشياء اخرى تملأ المعدة ، ولو لم يكن فيها غذاء ما ، حتى تكتفي المعدة هذا الاحساس الذي تعودتهُ في الماضي . وتبقى الحال على هذا المنوال ، حتى يتحقق ، ما يتخيلهُ الاستاذ لو وهو من أغرب ضروب الخيال

فالاستاذ لو يتخيل انهُ سوف يأتي يوم يصبح الانسان فيهِ غير محتاج الى المعدة التي عملها هضم الطعام حتى يصبح في شكل يسهل معهُ انتقالهُ الى الامعاء فيُمتَصّ من جدرانها . فاذا تم صنع الغذاء في حبوب صغيرة كما قدمنا ، استغني عن المعدة وعملها ، وعندئذٍ تصبح عملية استئصال المعدة ذائعة ذيوع استئصال الزائدة أو ذيوع التطعيم والتلقيح ضدّ الأمراض المعدية . وعندئذٍ نعود لا نحتاج الى تناول الأشياء التي فرضها ملء المعدة فقط لمجرد ملئها . ويتبع كل هذا ، ان الوقت الذي ينفقهُ الناس حول موائد الطعام والشاي يوفّر حينئذٍ كلهُ ، أو على الاقل تسعٌ وتسعون في المائة منهُ ، وتنفق الساعات التي توفّر كل يوم ، من وقت اللبس والأكل ، في العمل أو في مطالب الروح والعقل العليا

وسوف يبحث الكيمائيون عن أفضل المشروبات للتناول اليومي . فالمشروبات الشائعة الآن هي الكحول ، كما في الوسكي والكونياك والزبيب (العَرَق) ، أو القهوة والشاي وعنصرها الفعال متشابه ، أو التبغ (وقد حسبناهُ مشروباً تجوزاً) وعنصره الفعال هو النيكوتين . ولكل مادة من هذه المواد اخطارها . ولا ريب في أن تناول الكحول سوف يمنع منعاً عاماً باتاً في المستقبل . وليس سبب ذلك لان استعمال الكحول خطر على السواد من الناس ، بل لانهُ خطرٌ اذا حفلت به رؤوس الاقلية منهم . فالمسدسات ممنوع استعمالها أو حملها الا برخصة . وليس ثمة من ينكر أن للمسدسات فائدة في بعض الاحوال . ولكن الخوف من أن تقع في أيدي اناس اختلّ فيهم ميزان العقل والشعور ، أفضى الى منعها ، لئلاّ تصبح في أيديهم خطراً عامّاً . واذن فالكحول في المستقبل لا يمنع

الاّ برخصة ، لمن يقرّ الرأي الفني ان الكحول ضروريٌّ لهم . عندئذٍ يختفي الشبان السكارى المترنحون من الاماكن العامة . لانهُ من غرائب هذا العصر ، ان يحسب التقيؤ في مكانٍ عام على أثر الافراط في الاكل ، عملاً سمجاً ، ولا يحسب الترنح بأنفٍ محرٍّ وعينين زائغتين على اثر الافراط في الشرب ، عملاً سمجاً كذلك

***

ولعلّ المشروب الجديد الذي يستنبطهُ الكيماويون ، يكون من اثره ، تمكين الناس من البقاء مستيقظين مدة طويلة من دون ان يصابوا باعياء او بردّ فعل سيء بعد زوال اثر المشروب . والواقع ان مركباً من هذا القبيل امتحن في بعض مناجم المانيا في خلال الحرب الكبرى . فثبت انهُ يمكن العامل من ان يعمل اثنتي عشرة ساعة متواصلة بسهولة ولم يشعر العمال الذين جرب فيهم باي رد فعل سيء بعد مداولة استعماله اثنتي عشرة شهراً

والمرجح ان المنبهات التي يتناولها ناس المستقبل ، لا يكون من اثرها تخدير الدماغ ، وخلق صورة غير حقيقية للحياة في اذهان من يتناولها . بل على الضد من ذلك سوف يكون من شأنها ان ترهف حواسه ، فيصبح الصناعي الذي يتناولها اقدر على متابعة الآلات السريعة ببصره او سمعه . او قد يبلع المصور مشروباً يرهف فيه الاحساس بالالوان ، ولكن الاعتراض على ذلك ان كل من رغب في مشاهدة صورته يجب ان يتناول هذا المنبه كذلك حتى يرى الصورة على ما يجب ان ترى

ويرى المفكرون ان ارتقاء الصناعة الآلية ، سوف يفضي من تلقاء نفسه ، الى نشر الاعتدال في تناول المنبهات . فاستعمال السيارة كان افعل في هذه الناحية من عشرات من جمعيات الاعتدال لان سائق السيارة يفهم انهُ اذا لم يكن مالكاً زمام عقله واعصابه ، عرّض نفسهُ وعرّض غيره للخطر . لم الحوادث كثيرة وتبعث على الحزن والاسى . والذين كانوا سبباً لها يجب ان يعاقبوا اشدّ العقاب . ولكن الواقع ان العلم الصناعي ممثلاً في السيارة كان افعل في هذه الناحية من وعظ الواعظين وارشاد المرشدين . كذلك صانع المستقبل ، فانهُ اذا ادرك عظم القوة التي رهن سيطرته ، امتنع عن كل ما من شأنه ان يحول بينهُ وبين هذه السيطرة الكاملة عليها ، لان في ذلك كرامتهُ الفنية

اما من حيث التبغ فيرجح انهُ سوف يُسنُّ قانون ينصُّ على انه من المحرم بيع السجاير قبل ان تستخرج منها المواد الضارة التي فيها باشراف علمي يضمن ذلك

هذه خواطر تجمع بين العلم والخيال والفكاهة ، فيها العملي الذي يمكن تحقيقهُ قريباً ، وفيها النظري الذي قد لا يتحقق الاّ بعد قرون ، وفيها السخيف ، او ما نحسبهُ سخيفاً ولن يتحقق على الاطلاق . ولكنني ارجو ان تكونوا قد اصبتم في بعض ما قلته شيئاً من الفكاهة ، وارجو كذلك ان يكون البعض الآخر مما يحملكم على التفكير في نواحٍ من اللبس والمآكل تحتاج الى الاصلاح

وخلعها ، اي انه ينفق ما متوسطهُ نحو ساعتين في اليوم على شؤون اللبس ومقتضياته

ويتخيل الاستاذ لو ثوب المستقبل مؤلفاً من قطعة واحدة ، لا احزمة فيه ولا ازرار ولا كتاكش ولا بتات ، يحكم اقفاله عند المعاصم والكواحل والنحور ، لمنع القذر من التطرق الى داخله . ويكون الثوب فضفاضاً ، لانه ليس من حسن الادب في شيء ان يكشف الانسان لجيرانه عن شكل جسمه ، على نحو ما تفعل بعض بنطلونات الرجال الآن وبعض ملابس النساء

وعلاوة على ذلك يكون الناس قد تعلموا حينئذٍ ان الهواء نفسهُ خير مدفئ للجسم ، وان الملابس تلبس لا لتدفئة الجسم ، بل لتحفظهُ دافئاً

ثم ان لبس البدلة الواحدة في المستقبل ، يومين متواليين ، من دون تعقيمها ، سوف يحسب عملاً افظع من الجلوس الى مائدة الطعام من دون غسل الايدي ، بعد ان يكون صاحبها قد لوثها بضروب الاقذار في خلال قيامه بعمله اليومي . وقد لا يبعد ان يعمد والدو المستقبل الى المكرسكوب ، فيرون اولادهم ، جوارب هذا العصر واحذيتهُ وقصانه ومعاطفه ، او قطعاً من هذه كلها على شريحة المكرسكوب . فعندئذٍ يرى الاولاد هذه الملابس ، وسطوحها تعجُّ بضروب المكروبات فاذا هي اقذر من القاذورات نفسها في نظر العلم او مثلها على الاقل . وعندئذٍ يتعجب ابناء العصور القادمة ، كيف كنا نحن ، في هذا العصر ، في القرن العشرين ، نلبس ملابس هذا شأنها

ولذلك لا يبعد ان يستنبط في المستقبل ، معقم ، في شكل خزانة كبيرة ، توضع فيها الملابس مساء عند خلعها ، فيطلع عليها الصباح ، فاذا هي نقية من المكروبات ، لان المكروبات تكون قد قتلت في المعقم ، على نحو ما يميت الطبيب المكروبات على ادوات جراحته عند ما يعقمها

***

وقد يكون من الخير ، ان نبين ان المشي باحذية عالية الكعوب ، يضعف عضلات البطن ، ويجعل أصابع القدمين ، قرنية مشوّهة وتبعث على كثير من الالم وعلى الاشمئزاز كذلك عندما تطلّ من احذية الصيف الخاوية . فاحذية النساء في المستقبل لن تكون عالية الكعوب . ثم ان الفراء على اختلاف انواعها سوف تفقد قيمتها متى ادرك العلماء والصناع ، كيف يصنعون الفرو بالتركيب الصناعي على نحو ما يصنعون الحرير الصناعي الآن . فاذا مضى العلماء في مباراتهم للطبيعة في صنع الحجارة الكريمة فقد يكون العاج في المستقبل ، افضل ما يتزيّن به ، حتى يكشف عن سر تركيبه في المعمل . ولما كان من المرجح ان استعمال النظارات على العيون ، سوف يزداد انتشاراً ، حتى لقد يصبح عامًّا في المستقبل ، فالمرجح ان استعمال المظلات في الصيف او في الشتاء يصبح حينئذٍ امراً ممنوعاً بقانون ، لان استعمالها ينطوي على خطر عظيم في الشوارع والميادين المحتشدة بالناس . ولما كان الصلع كذلك آخذاً في الانتشار — حتى لقد يصبح عامًّا بين الرجال على الاقل — فلا بدَّ من استنباط لباس للرأس يقيه من الشمس والمطر . وقد يكون هذا اللباس في البلدان الباردة

مما يدفأ داخله بالكهربائية بإسلاك دقيقة ممتدة من بطرية صغيرة في الجيب . اما عادة رفع القبعات للنساء عند الالتقاء في الشوارع او في المركبات العامة ، فسوف تبطل ، لانهُ علاوة على مطالبة النساء بمساواة الرجال ، يتعرض رفع القبعة للاصابة بزكام حادّ ، عند تعريض مساحةٍ كبيرة من الجلد الحسّاس للهواء

ومما لا ريب فيه ، ان قيمة الانسان في المستقبل ، سواء اكان سيدة او رجلاً ، سوف تعين بما يفكر فيه ، لا بما يرتديه ، ولا يمكن حينئذ ان يخفي الانسان جهله وسخفه طويلا ، تحت مظهر رشيق ، ويبقى فائزاً باحترام معاشريه

٤ — الغذاء

اما عن الطعام ، فيقال ان الممثل البريطاني المشهور ، المعروف باسم كين ، كان يختار طعامه ، وفقاً للدور الذي ينتظر منه تمثيله على المسرح . فكان يأكل لحم الخنزير قبل ان يمثل دور طاغية ، ولحم البقر قبل ان يمثل دور قاتل ، ولحم الضأن الغض قبل ان يمثل دور عاشق ولهان . والعلماء يقولون انهُ في الامكان جعل هندي ، مثلاً ، متصفاً ببعض الصفات المميزة لليابانيّ ، بتغيير طعامه . ويذهب آخرون الى ان الصفات المميزة لقوم ما ، انما منشؤها الطعام الخاص الذي يأكلونهُ . وعلى ذلك ، فقد يكون كبار الطهاة في المستقبل ، اعظم بناة لصرح السلام العام . وقد أثبت علماء العصر الحديث ان لمفرزات الغدد الصم أثراً اي اثر في أطوارنا النفسية على اختلافها . واذن فلا بد لعلماء المستقبل من التعمق في دراسة العلاقة بين الطعام وهذه الغدد حتى يستطيعوا ان يسيطروا بالطعام على أحوال النفس

قلنا ان الاختصار في اللباس ، سوف يكون آية المستقبل ، كذلك الاختصار في الطعام . فالناس لن يكتفوا في المستقبل ، باتفاق ربع ساعات اليقظة حول موائد الطعام والشاي . بل انهم ليدركون حينئذ ان الاهتمام بالبفتيك ، والتمثل بالشمبانيا ، ليسا من ضرورات البحث في الاعمال ، كما يدعون الآن ، بحثاً معقولاً

ومما لا ريب فيه ان ناحية من نواحي الاكل التي ينتظر ان تفوز بقسط كبير من عناية العلماء في المستقبل ، هي ناحية المواد الكيمائية اليسيرة التي لا بد منها للجسم السليم مثل بعض العناصر المعدنية كالكلسيوم والمغنيزيوم والحديد واليود وغيرها . والمرجح ان تحذف من قوائم طعامنا ، المتبلات والمشهيات كالخردل والفلفل ، لانها تهيج الاغشية الحساسة في الجهاز الهضمي . وقد قال احد العلماء : ان تناول قليل من كلوريد المغنيزيوم ، يساعد على منع السرطان . ولكن اذا اراد الناس ان يأكلوا كل ما من شأنهِ ان يمنع السرطان أو ان يكفّوا عن كل ما يسببه ، اضطروا